القصص

البنت سر أمها

«لشولتو دوجلاس» و «فوجاد بيكو»

ترجمة محمد عبد الفتاح محمد

مالت السيدة «بولا بار فيلد» فى مقعدها الوثير إلى الوراء فبان جيدها العاجى الأبيض بنم عن أنوثة ناضجة وفتنة ساحرة وأخذت ترنو إلى سقف الغرفة بعينين ساجيتين وقد غربت عن بالها لفافة التبغ التى استوت بين أصابع يدها البضة الجميلة المستندة على ذراع المقعد

كانت تحلق فى أجواء الخيال تبحث عن حيلة تحوك خيوطها وهى التى قد بلغت السابعة والثلاثين من عمرها — ولم تجنح إلى تدبير الحيل واستنباط الوسائل . لأن وسامة محياها كانت أحبولة كافية لجر المغنم ونيل المقصد . . إلاّ أن توالى الأعوام لم يدع من فتنة وجهها شركا يقوى على اصطياد الفرائس . . بل رأت أن شحذ الفكر وتدبير الحيل خير عون لها الآن على نيل ما تصبو إليه النفس وما يتمناه الفؤاد . . بعد أن ألفَتْ أن نجاحها عن طريق لحاظها الفتاكة قد تعثر فى كثير من المواقف

كانت تقنع إبان حياتها المدرسية بالبنسات لشراء الحلوى راضية بعطف معلميها ومعلماتها . غير أن الثناء الذى كان ينصب على جمالها انصباباً والمديح الذى كان ينهال على فتنتها انهيالاً . حولا وجهها إلى أصدقائها الشبان فأنصتت لهم وهم يترنمون بهزج الهوى فى أذنيها ويرتلون آية الحب على مسمعيها . . مالت إليهم بكليتها . وتقبلت منهم الهدايا على اختلاف صنوفها

ولتلك الخطة الزرية عثراتها وأخطاؤها . فما بلغت الثامنة عشرة من سنيها حتى تزوجت من رجل فقير أهاب بها قلبها الملتهب أنها تحبه وتهواه

وكان زوجها هذا رجلاً هادئ الطبع ، وديعاً جميلاً ، خاملاً مغموراً ، لا يهمه من دنياه سوى أن يملأ بطنه ليعيش . لذلك أخذت هى تدبر أمور الحياة لها وله ولابنتهما التى خرجت مبكرة إلى عالم الوجود بعد الزيجة بتسعة أهلّة

ولم تحس بأى إحساس من الحزن عندما قضى بعلها نحبه بعد ثلاث سنين من زواجهما . بل انبسطت أساريرها ، وسُرت لزوال تلك العقبة الكؤود التى كانت تقف حائلاً بينها وبين آمالها وأمانيها

كذلك لم تكن بالمرأة التى ترى أن الشرف فى الحياة هو العمل على تحصيل القوت من سبله المشروعة ، بل كانت من النساء اللواتى يسلكن أى سبيل للوصول إلى الحياة الرغدة الهانئة ؛ ولا غضاضة فى أن تهب جسدها متعة لمن يشاء ما دام يجر عليها ذلك ما ترغب من أطايب العيش ولذائذه . ولذا عهدت بطفلتها إلى مرضع ، ثم الى مربية ، ومن ثم إلى مدرسة داخلية ، وانبعث هى أهواءها وما تمليه عليها رغباتها ومطامعها . راحت تخبط فى ذلك العالم العابث الصاخب مع من يقع فى يدها من الرجال

ولما أتمت ابنتها الثانية عشرة ألحقتها بمدرسة خارجية ، ثم بأخرى ، ومضت لا تعنى بتتبع أخبارها ، ولا تهتم لترسم خطواتها ؛ فكان لهذا أبلغ الأثر فى إفساد الفتاة وإتلافها إلى أن بلغت الثامنة عشرة فبدت جميلة فاتنة . . . ففكرت أن تسلخها من دور العلم وأن تبقيها فى المنزل ، إلا أنها ألفتها منافساً خطراً وأليفاً ينقص من قيمتها فى سوق الجمال

ولا ننكر أنها كانت تنظر إلى ابنتها كمجرد طفلة ، ولكن عند ما تكون المرأة فى السابعة والثلاثين ، وترى نفسها تبدو كأنها فى السابعة والعشرين ، لا ترضى بأية حال أن تكون لها

ابنة حسناء فاتنة فى الثامنة عشرة

وكانت الابنة حقاً فاتنة ، ولم تكن تلك الحقيقة لتغيب عن المرأة ... غير أنها كانت تبدو دائماً دمثة الأخلاق مهذبة ... ولم تبدر منها طوال حياتها أية بادرة تؤخذ عليها ، بل كانت تعامل أمها بما كانت تتلقنه من ضروب الأدب وحسن الأخلاق

* * *

وفتح الباب آنئذ ودخلت الفتاة تقول لأمها فى صوت ثابت رزين مشوب باحترام شديد :

— لقد أفرغت حقيبتى ياأماه ... هل آخذ « بوجو » إلى الحديقة لننزه قليلا ؟

يا للجمال الرائع ! ويا للحسن الخلاب ! كانت طويلة القامة فى مهابة وجلال ، ناضجة الأنوثة ، مستكملة لكل معانى الجاذبية

وجابهت المرأة الحقيقة المرة ، وصدمتها الرؤيا الحقيقية القاسية ... روعتها تلك المنافسة الخطرة ... رأت من غير جهد جاذبية قوية وجمالاً باهراً ، فأحست بنيران الغيرة تضطرم بين ضلوعها ، وكرهت فيها ... فى ابنتها ذلك الجمال المغرى الذى أكسبه رداؤها المدرسى البسيط روعة وجلالا

ورنت إليها وأخذت تحدث نفسها قائلة : « إنها ساحرة ... تلك العينان الزرقاوان الصافيتان ، وتلك الأهداب الوُطف الناعسة : لقد كنت وأنا فى مثل سنها أبدو كما تبدو ، مغرية فاتنة ، بذلك الشعر الذهبى المنهدل فى إهمال حبيب على جبينها الأبيض المشرق ، وبهاتين الشفتين الحمراوين اللتين تغريان بالقبل . إنها بهذا الحسن الفتاك ، وبهذا الجمال الخلاب ، تبدو كأحدى ربات الجمال القديمات »

وأخذت كل من الأم وبنتها تنظر إلى الأخرى فى صمت وسكون ... فى حين كانت تنتاب المرأة شتى العوامل والأفكار وهى تتفرس فى ابنتها البريئة .. الطاهرة .. والفاتنة أيضاً

وكانت الفتاة مازالت فى وقفتها تنتظر رد أمها على سؤالها ولكن تجاهلت المرأة ذلك وقالت كأنها تنتزع الكلام من حلقها انتزاعا

— سوف لا تذهبين إلى المدرسة بعد الآن ياعزيزتى . فماذا اعتزمت أن تفعلى بنفسك بعد ذلك ؟

— لست ... لست أدرى بالضبط ... وأظن أنه يجدر بى أن .. أن أبقى هنا بجوارك .. إنى أحب ذلك من قرارة نفسى . وعلى كل . سأتبع ما تشيرين به على

— أظنك سئمت المدرسة ؟ إذ قد تركتك فيها زمنا طويلاً

— لقد كنت جد سعيدة والله يا أماه ... وقد ارتبطت فيها بأواصر الصداقة مع كثيرات

ودق جرس التليفون ، فرفعت المرأة السماعة ، ثم قالت تحدث مخاطبها :

— أهذ أنت يا « فريدى ؟ » لقد ظننت أنك لن تعود إلا فى الغد ! ... ماذا ؟ ... أجل ... سأكون على أهبة الاستعداد فى تمام السابعة لنتناول العشاء معا ... إلى اللقاء ياحبيبى ...

ثم وضعت السماعة مكانها وعادت الى مقعدها تفكر ، وغرقت فيه وهى لا تزال فى تفكيرها ؛ غير أنها بعد لحظة ضربت بيدها فجأة على ذراع المقعد ، ثم رنت الى ابنتها وهى تقول :

— تعالى واجلسى ياعزيزتى ... إن لى حديثاً معك

فجلست الفتاة قبالتها وتفرست فيها أمها فترة طويلة وهى صامتة ؛ ثم خرجت من صمتها أخيراً وأخذت تسرد عليها تاريخ حياتها فى شىء من الاسهاب ... مالت إلى الخلف فى مقعدها وقصت عليها تلك الأسباب التى دفعت بها الى هذه الطريق الوعرة التى تنساب فيها ، وتلك الحياة الشائكة التى تحياها

وعندما انتهت من قصتها خيم على الغرفة صمت رهيب أطرقت أثناءه الابنة وأخذت تنظر الى الفُرُش الثمينة التى ازادنت بها أرض الغرفة

غير أن الأم استأنفت تقول :

— وهأنت تريننى وقد بلغت السابعة والثلاثين من عمرى ، فاذا كنت ترغبين فى حياة رغدة هانئة فدعينى أشق لنفسى الطريق التى أراها أجدى لنا وأنفع

فرفعت الفتاة رأسها فى سرعة وقد شع من عينيها الزرقاوين بريق غريب لم تستطع الام أن تدرك معناه

فترددت المرأة طويلاً قبل أن تتابع الحديث . وساءلت نفسها . . ترى هل أدركت ابنتها معنى ما قصته عليها . . إنها تجلس أمامها هادئة رزينة ، فى تأدب واحترام كطالبة صغيرة ساذجة واستطردت قائلة :

— والآن ، هل فهمت ما أرمى إليه ؟ وهل تفقهين ما أبنى

إذا قلت لك إنه يتحتم عليك الخروج من الميدان ردحاً من الزمن ؟ فهناك رجل جديد . رجل غنى واسع الثراء . . . وإنى أحوك حوله شباكى هذه المرة . لا لشيء سوى أن أقترن به . إنى أعمل يا إبنتى كى أوفر لك ، ولى أيضاً أسباب السعادة والهناءة . وسوف يأتى هنا هذا المساء . فيجب ألا تظهرى أمامه ... وليس ذلك لأنك تظهرين حقيقة عمرى فحسب ، بل لأنى أيضاً لا أستطيع الثبات بجمالى أمام سحرك ؛ ليس هناك من الرجال من يقوى على رؤيتنا معاً — أنا وأنت — فى غرفة واحدة دون أن يفتنه حسنك

فهبت الفتاة واقفة بغتة وهى تقول صارخة :

— أمى ! !

واختفت دلائل الطهارة والبراءة والأدب الجم والحياء الشديد ، اختفت كل تلك الدلائل وحل محلها بريق غريب فى العينين الزرقاوين . تبدلت بضحكة ثائرة صاخبة تحشرجت فى حنجرتها المتهدجة الحنون

وألقت بنفسها على حجر أمها ثم طوقت عنقها بذراعيها واستطردت تقول :

— أى ... أمى العزيزة .. كم .. كم أنا سعيدة ! كم أنا فرحة هانئة ؛ إنك طيبة القلب جداً ؛ لطالما أعجبت بك إعجاباً شديداً ؛ إنك حياتى يا أمى ؛ إنى أحبك حباً هائلاً ؛ وسأكون لك أكبر عون على نجاح خطتك ... هيا أعطينى « شلنين » لأذهب الى « السينما » ؛ وسأبقى خارج الدار حتى يرحل عنها رَجُلُك . . ومن ثم ننظر فى باقى الأمر عندما يسفر الصبح . . ويا حبذا لو أمكنك بسلاح جمالك وقوة سحرك أن تجعليه يهبنى سيارة صغيرة ذات مقعدين ... سيارة سباق زرقاء بجوانب حمراء . . يا لسعادتنا ! يا لطالعنا المجدود !

فلهثت الأم وهى تقول :

— ابنتى ! !

فقالت الفتاة العصرية الساحرة :

— ماذا علينا لو فعلنا ذلك ما دمنا نود رغد العيش ؟ . يا ترى هل سنشرب « الجن »[1] و« الفيرموت » الايطالى ! ؟

محمد عبد الفتاح محمد
بالسادسة والناجح

(١) « الجن » و « الفيرموت » الايطالى نوعان من الخمور

يوميات
نائب فى الأرياف
قصة طويلة فى شكل مذكرات بقلم
الأستاذ توفيق الحكيم
تنشر تباعاً فى مجلة :
الروايـــة
ابتداء من عددها الأول الذى يصدر فى
١٥ يناير سنة ١٩٣٧

لجنة التأليف والترجمة والنشر
قصة الفلسفة الحديثة
تصنيف
أحمد أمين ، زكى نجيب محمود
أتمت لجنة التأليف طبع هذا الكتاب وهو الحلقة الثانية لقصة الفلسفة اليونانية ، وقد ترجم لأشهر الفلاسفة من عصر القرون الوسطى إلى اليوم وبين فلسفتهم فى أسلوب واضح
وقد حلى بصور الفلاسفة وهو فى جزءين يقعان فى نحو ٦٥٠ صفحة وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد
ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة